ولستُ بقائم أبداً أنـــادى كمثل العير حى على الفلاح
ولكنى سأشربهـــا شمـــولا وأسجـــد عندَ منبلج الصباح

فنال من التعاليم الإسلامية ، وصوّرها تصويراً فيه زندقة وفيه خفه وطيش ؛ ولكنه كان من الخلافة بحيث لا تمسه يدُ القصاص ، ولا شك فى أنه ساقها عن سبيل المجون كما ساق أبو نواس مثلَ ذلك عن سبيل الخلاعة والقصف . ومهما يكن من أمر ، فقد ظهرت الزندقة خلال العصر العباسى بعد ذلك ظهوراً عنيفاً وقام الإلحاد والشك عن سبيل المجون حيناً أو الجدّ حيناً آخر ، ونهض الخلفاء لعقاب هؤلاء الشعراء فاشتد الهادى فى طلبهم وقتل منهم جماعة . وقد قال أبو نواس :

يا ناظراً فى الدّين ما الأمر لا قدَرٌ صَـــح وَلا جبرُ
ما صَح عندى من جميع الذى تذْكرُ إلا الموت والقـــبرُ

ولعل الذى أثار ذلك وشجعه شعوبية الفرس واندفاع المستهترين فى قول ذلك وتقبله ، وذهابُ المجوس ، فى حفظ ذلك وترديده ، مذهباً لايدع الشك فى حنينهم إلى دينهم الأول ، كما روى عن آل برمك وابن المقفع .

وقام أبو العلاء المعرى فى القرن الخامس يتناول الدين ويصف المتدينين على أسلوب نادر وفلسفة غريبة ، دفعت القراء إلى الشك ، وتدفعنا إلى جعل أقواله فى هذا الباب على أنها أصابت الإسلام بالنقد ، كما فعل أبو نواس سواء بسواء . ولكنه كان أعمق وأوسع وأشد إيلاماً ، فقال :

إذا رَجع الحصيفُ إلى حجاهُ تهاونَ بالمذاهب وازدَراهـــا
وَهتْ أديانهم منْ كلّ وَجـــهٍ فهلْ عقـــلٌ تشدّ به عراها

وهو يعمل العقل والحصافة ويتهاونُ بالمذاهب ويزدريها ، ويجدُها واهية من كل وجه ، ثم يقول فى وصف الأديان كلها :

عجبتُ لـــكسرى وأشياعـــه وغسل الوجوه ببوْل البقـــرْ
وقول النصارى : إله يضَامُ ويظلمُ حيّا ولا ينتـــصرْ